أعمال شهر ذي القعدة

*** شهر ذي القعدة أوّل الأشهر الحُرُم التي حرّم الله فيها القتال مع الكفّار، والعاقل يتنبّه من ذلك إلى حكم المحاربة والمخالفة مع الله جلّ جلاله. فاجتهدي يا نفس في حفظ قلبك وبدنك في هذه الأشهر زيادةً على ما يجب في سائر الشهور من عدم مخالفة الله جلّ جلاله في شيء من أحكامه، بل في الرّضا بقضائه سبحانه.**

*** في الخامس والعشرين من ذي القعدة نُصبت الكعبة، ودُحيت الأرض، وهبط آدم، ووُلد فيه الخليل وعيسى عليهم السلام، ونُشرت فيه الرحمة. إنه إذن يوم الأرض والإنسان، فليتنبّه القلب لذلك.**

*** عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: «إنَّ أوّل رحمةٍ نزلت من السماء إلى الأرض في خمس وعشرين من ذي القعدة. ومن صام ذلك اليوم، وقام تلك الليلة فله عبادة مائة سنة، صام نهارها وقام ليلها، وأيّما جماعة اجتمعت ذلك اليوم في ذكر ربّهم عزّ وجلّ لم يتفرّقوا حتّى يُعطوا سُؤلهم، وينزل في ذلك اليوم ألف ألف رحمة يصنع منها تسعة وتسعون ألفاً في حلق الذاكرين والصائمين في ذلك اليوم والقائمين تلك الليلة».**

والعُمدة في هذا الشهر، العلمُ بما أنعم الله به على البشر يوم دَحوِ الأرض، فإنّ العلم بالنعمة ومقدارها كمّاً وكيفاً أوّلُ مراتب شكرها.

*** من أهمّ الأعمال في شهر ذي القعدة: صلاة التوبة يوم الأحد بكيفيّة خاصة، وينتظر هذا العملَ مَن يعرف أهميّتَه من سنة إلى أخرى، رغم أنه يُمكن أن يُؤتى به في كلّ شهر يوم الأحد.**

كيف ندخل هذا الشهر الحرام؟:

هذا أوّل الأشهر الحُرُم (ذو القعدة، ذو الحِجّة، محرّم، رجب) التي حرّم الله فيها القتال مع الكفّار، والعاقل يتنبّه من ذلك (إلى) حكم المحاربة والمخالفة مع الله جلّ جلاله، فاجتهدي يا نفس في حفظ قلبك وبدنك في هذه الأشهر زيادةً على ما يجب في سائر الشهور، من عدم مخالفة الله جلّ جلاله في شيءٍ من أحكامه، بل في الرضا بقضائه سبحانه في ما يقتضيه لك من البلايا والمصائب، فإنّه شهرٌ حرامٌ تزيد حُرمتُه على سائر الشهور بما منع الله تعالى فيه المحاربة مع الكفّار، فليكن حفظُك بحُرمته من قبيل ترك المخالفة وبسط الرضا معه جلّ جلاله، فإنّه ربٌّ شكورٌ، لو علمت عَظَمةَ شَرَفِ رضاه، لهان عليك في تحصيله أن تُقتلي وتُقَطّع أعضاؤك إرْباً إرْباً ولا يفوتك هذا الشرف.

المراقبات

« .. فأمّا كيفيّة الدخول في شهر ذي القعدة المعظّم في الإسلام، فعلى نحو ما أشرنا إليه من دخول كلّ شهر حرام، ونزيد في هذا الشهر أنّه الشهر الذي دحا الله فيه الأرض، وهيّأها للعالَمين، فكأنّه "وسيلة نقل" قد أُهديتْ إليك لتُوصلك إلى المسكن الجليل والموطن الجميل، وما يتصل به من العطاء الجزيل. فاشكر واهبَ تلك العطيّة، واعرف حقّه وحقّها وحقَّ ما ينتج عنها من تحقيق الآمال. وَلْيَكن حفظُك لحرمة هذا الشهر بالقلب والعقل وحفظ الجوارح، لتُدرك ما فيه من الفضل الوفير.

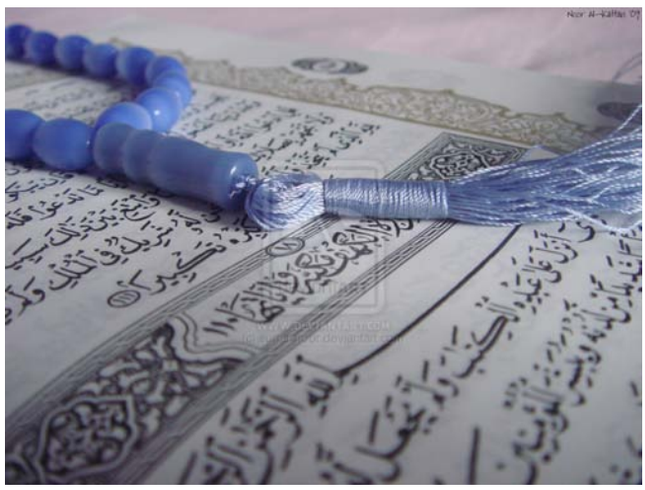

وشهر ذي القعدة، شهرٌ موصوف بإجابة الدّعوات، فاغتنم أوقاته، وصُم فيه صيام الحاجات، وابدأ بالحوائج المُهمّات على الترتيب الذي يكون أهمّ عند من تُعرَض الحوائج عليه، فيوشك أن يظفر بما تقصد إليه، إن شاء الله تعالى ».

إقبال الأعمال

عمل التوبة في ذي القعدة

عن أنس بن مالك قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم الأحد في شهر ذي القعدة فقال: **يا أيّها الناس، مَن كان منكم يريد التوبة؟ قلنا: كلّنا نريد التوبة يا رسول الله، فقال عليه السلام: اغتسلوا، وتوضّأوا، وصلّوا أربع ركعات، واقرؤوا في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة و(قل**

هو الله أحد) ثلاث مرّات، والمعوّذتين مرّة، ثم استغفروا سبعين مرّة، ثم اختموا بـ: (لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم)، ثم قولوا: يا عزيزُ يا غفّارُ، اغفر لي ذنوبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات، فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت. ثمّ قال عليه السلام: ما من أُمّتي فعل هذا إلا نُودي من السماء: (يا عبدالله، استأنف العمل، فإنّك مقبولُ التوبةِ مغفورُ الذّنْب)، وينادي مَلك من تحت العرش: (أيّها العبد، بُورك عليك وعلى أهلك وذُرّيتك)، وينادي منادٍ آخر: (أيُّها العبد، ترضى خُصماؤك يوم القيامة)، وينادي مَلك آخر: (أيّها العبد، تموت على الإيمان ولا يسلب منك الدين، ويُفسح في قبرك ويُنوّر فيه)، وينادي مناد آخر: (أيّها العبد، يرضى أبواك وإن كانا ساخطين، وغفر لأبويك ذلك ولذريّتك، وأنت في سَعة من الرّزق في الدنيا والآخرة)، وينادي جبرئيل عليه السلام: (أنا الذي آتيك مع ملك الموت، أن يرفق بك ولا يخدشك أثر الموت، إنما تخرج الروح من جسدك سلاً). قلنا: يا رسول الله، لو أن عبداً يقول في غير الشهر؟ فقال عليه السلام: مثل ما وصفت، وإنّما علّمني جبرئيل عليه السلام هذه الكلمات أيّامَ أُسري بي.

إقبال الأعمال

صوم ثلاثة أيام

من خصائص الأشهر الحُرم ما رُوي عن المفيد عليه الرحمة أنّه قال: [قال] رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **من صام من شهرَ حرام ثلاثةَ أيّام: الخميس والجمعة والسبت، كتب الله له عبادة سنة. ورُوي تسعمائة سنة صيام نهارها وقيام ليلها.**

المراقبات

مراقبات ليلة النصف من ذي القعدة

رُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ في ذي القعدة ليلة مباركة وهي ليلة خمس عشرة، ينظر الله إلى عباده المؤمنين فيها بالرحمة، أجرُ العامل فيها بطاعة الله أجرُ مائة سائح " . . " لم يعصِ الله طرفةَ عين. " . . "

[وقد] رُوي أنّه لا يبقى أحدٌ سأل الله فيها حاجةً إلا أعطاه.

إنّ للعمل في هذه الليلة ـ بسبب قلّة العامل به لعدم اشتهاره ـ خصوصيّةً ليست في غيره من أعمال الليالي المشهورة، وهذه من المهمّات عند المراقبين لأنّ الذكر عند غفلة العامّة من مهامّ المراقبات، وأسرع للإجابة، وأقرب للقبول، وأزيَد في الأجر، وأعظم عند الله، فبادر إلى إجابة المنادي إلى كرامة الله جلّ جلاله بكمال الجدّ والشوق، واغتنم الفرص واستيقظ عن نومتك، فستأتيك عن قريب داهية الموت التي لا تقدر بعدها على تحصيل شيء يسير من هذه الفوائد الجليلة، وتستيقظ عند معاينة ناصية ملك الموت، وتستمهله سنة، ويقول لك قد فنيت السنين، وتقول: يوماً، ويقول: فنيت الأيّام، وترضى بساعة ولا يُمهلك، تموت بحسرة بعد حسرة من جرّاء تفويت أيّام الفرصة، وتضييع زمان المهلة، فيا لها حسرة ما أعظمها، وغصّة ما أشدّها.

المراقبات

مراقبات اليوم الخامس والعشرين وليلته:

يوم دحو الأرض:

والعُمدةُ في هذا الشهر العلمُ بما أنعم الله به على البشر يوم دَحوِ الأرض، فإنّ العلم بالنعمة ومقدارها كمّاً وكيفاً أوّل مراتب شكرها، كما ورد به النصّ وحقّقَ في علم السرّ.

وقد ورد في الأخبار الكثيرة أنّ في الخامس والعشرين من ذي القعدة نُصبت الكعبة، ودُحيت فيه الأرض، وهبط فيه آدم، ووُلد فيه الخليل وعيسى عليهم السلام، ونُشرت فيه الرحمة.

ومنها عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: **إنَّ أوّل رحمة نزلت من السماء إلى الأرض في خمس وعشرين من ذي القعدة. ومَن صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة فله عبادة مائة سنة، صام نهارَها وقام ليلَها، وأيّما جماعة اجتمعت ذلك اليوم في ذكر ربّهم عزّ وجل لم يتفرّقوا حتّى يُعطوا سُؤلهم، وينزل في ذلك اليوم ألف ألف رحمة يصنع منها تسعة وتسعون ألفاً في حلق الذاكرين والصائمين في ذلك اليوم والقائمين تلك الليلة.**

ورُوي أنّه يصلّي في هذا اليوم ركعتين عند الضُّحى بالحمد مرّة، و(والشمس وضحاها) خمس مرّات، ويقول بعد التسليم: (لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم)، ويدعو ويقول: «**يا مقيل العثرات أَقِلْني عثرتي، يا مجيبَ الدعوات أجب دعوتي، يا سامع الأصوات اسمع صوتي وارحمني، وتجاوز عن سيّئاتي وما عندي، يا ذا الجلال والإكرام**».

ويُستحبّ أن يقرأ بما رُوي فيه من الدعاء الذي أوّله: «**يا داحي الكعبة..**». (تجده في باب "لولا دعاؤكم" من هذا العدد).

وأمّا معرفة نصبِ الكعبة، ودحوِ الأرض، فاعلم أنّ لهذه النعمة صورة، وحقيقة.

صورتها هي ما أشار إليها السيد ابن طاووس في «الإقبال» أنّ الله تبارك وتعالى بنى في هذا اليوم الأرض لسُكنى بني آدم وعيشه، والأرض وما فيها من النِعم حتى أبداننا وأرزاقنا كلّها قد انتشرت ممّا نزل في هذا اليوم من الرّحمة، فكلّ نعمة في الدنيا على أجناسها وأنواعها وأصنافها التي لا يقدر على إحصائها أحد، كان نزولها وانتشارها في هذا اليوم.

فعلى العبد المراقب لمولاه، المريد لشكر نِعَمِه، أن يتفكّر في ما ينتهي إليه فطنته من نعمته العظيمة الفاخرة، والتي أنعم

بها عليه بخلق الأرض وما عليها.

... ومن عظائم تلك النِعم جعلُ الكعبة بيتاً لنفسه، وإذنه للناس أن يقصدوا زيارته، وقبوله منهم ذلك لزيادته في الأجر والقبول والرضا، ولَعَمري إنّ هذا غاية اللطف والرفق والكرم، فإنّ البصير إذا تأمّل في معاني نُسُك الحجّ، يهتدي بذلك إلى عظيم لُطفه تعالى، بل ومحبّته إلى عناية المؤمنين، وغاية عنايته في جذبهم إلى بابه، ودعوتِهم إلى قربه وجواره، وعَرَفَ قدر نعمة وجود هذا النبيّ الكريم الذي هدانا به إلى هذه العوالم العزيزة، وعرّفنا أسرار هذه المقامات الشريفة الكريمة، وأحيا هذه القلوب الميتة بروح الإيمان، وهدى عماها بنور الإيقان.

وأما حقيقتها (فهي باختصار) أنّه سبحانه وتعالى خلق بني آدم من التراب، ودعاهم إلى لقائه وجواره. وقربُه وجِوارُه إنّما هو أعلى علّيّين، ومقامُ الروحانيّين، ومن أجل أنّ بني الإنسان لا يصلون إلى هذه العوالم العالية في أوائل أمرهم من جهة توغّلهم في ظلمات عوالم الطبيعة، وأسارتهم في مهوى كرة الأرض بين الماء والطين، فقد جعل لهم بلُطفه من عالمهم محلاً وعمراناً، وسمّاه بيتاً له، وجعله مطافاً لزوّاره، ومريدي حضرته ليطوفوا حوله ويزوروه، ويستأنسوا بربّهم على حسب حالهم، ويستعدّوا بذلك لما فوقه من عوالم القُدس، ورَبوة التقريب، وجعل لهذه الزيارة نُسكاً كلّها مثاراً للترقّي من عالم الملك إلى عوالم الملكوت والجبروت واللاهوت.

وبعبارة أخرى، هذه النُسُك معدّة لعامل بها إلى زيارة الكعبة الحقيقيّة، التي ورد فيها أنّه: **لا تسعُني أرضي وسمائي، بل يسعني قلب عبدي المؤمن.**

وبعبارة أخرى، هي مُورِثةٌ لمعرفة النفْس التي فيها معرفة الرب، كما أُشير إليه في المناجاة الشعبانيّة بقوله عليه السلام: «**وأنِر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتّى تخرق أبصارُ القلوب حُجُبَ النور، فتصل إلى معدن العَظَمة، وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك**».

فإنّ الإنسان محتجِبٌ عن الوصول إلى معدن العَظَمة بحُجُب ظلمانيّة ونورانيّة، [الحُجُب] الظلمانيّة عبارة عن عالم الطبيعة التي هي من عالم الحسّ والشهادة، بل وبعض عوالم المثال أيضاً يلحق بالحُجُب الظلمانيّة. والحُجُب النورانيّة (هي التي تكون) بعد الترقّي عن عوالم الطبيعة بإلقاء المادّة والصورة، فحينئذٍ يرى نفسه مجرّدة عنهما، وتتجلّى له نفسه حقيقةً مجرّدةً عن قشور المادّة والصورة، ويرى نفسه أمراً عظيماً، وتبقى الحُجُب النورانيّة، وعند ذلك يُفتح له باب المعارف الكشفيّة.

المراقبات

صوم يوم خمس وعشرين من ذي القعدة

روينا ذلك بإسنادنا إلى الشيخ محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله باسناده في كتاب «الكافي» إلى محمد بن عبد الله الصيقل قال: خرج علينا أبو الحسن ـ يعني الرضا ـ عليه السلام بمرو في يوم خمس وعشرين من ذي القعدة، فقال: صوموا فإنّي أصبحتُ صائماً، قلنا: جُعلتُ فداك، أيّ يوم هو؟ قال: يوم نُشرت فيه الرحمة، ودُحيت فيه الأرض، ونُصبت فيه الكعبة، وهبط فيه آدم عليه السلام.

الإقبال

تعيين وقت نزول الكعبة من السماء

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة: روينا ذلك بإسنادنا إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن بابويه رحمه الله، بإسناده من كتاب «مَن لا يحضره الفقيه»، وقد ضَمِنَ في خطبة كتابه صحّة ما يرويه فيه، وأنّه رواه من الأصول المنقولة عن الأئمة صلوات الله عليهم، فقال ما هذا لفظه: ورُوي أن في تسع وعشرين من ذي القعدة أنزل الله عزّ وجلّ الكعبة، وهي أول رحمةٍ نزلت، فمن صام ذلك اليوم كان كفّارة سبعين سنة

الإقبال

صوم ثلاثة أيام من الشهر الحرام

ثمّ من خصائص الأشهر الحُرم ما رُوي عن المفيد عليه الرحمة أنّه قال: [قال] رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من صام من شهرٍ حرامٍ ثلاثة أيّام: الخميس والجمعة والسبت، كتب الله له عبادة سنة. ورُوي: تسعمائة سنة، صيام نهارها وقيام ليلها.

أقول: هذه الرواية لا تُنافي رواية ثلاثة أيّام الشهور: الخميسان والأربعاء. نعم، ولو صام خميسين وأربعاء وجمعة لا يبعد أن يكفي في العمل بهما.

المراقبات